اكتشافات وادى المربعات وخربة مرد

تم الحفر والتنقيب فى وادى المربعات لأول مرة سنة ١٩٥٢؛ ذلك الوادى الذى يقع جنوب وادى قمران؛ وفى مكان فى نفس المنطقة لم يعرف من قبل. وقد كشفت كهوف وادى المربعات أنها كانت محلًا للسكنى عبر تاريخ طويل منذ بداية العصر النحاسى فى الألفية الرابعة قبل الميلاد وحتى القرن العاشر الميلادي. ومع ذلك فإن كل المخطوطات المكتشفة ترجع إلى القرن الثانى الميلادى أى منذ الثورة اليهودية الثانية (١٣٢ ـ ١٣٥م). وكانت المخطوطات المكتشفة عبارة عن خطابات وعقود ومعاملات عائدة إلى القرن الثانى الميلادى إلى جانب مخطوطات لأسفار العهد القديم.

وكانت مخطوطات الكتاب المقدس التى اكتشفت هنا ذات أهمية خاصة من حيث أنها على خلاف مخطوطات قمران، تعكس نماذج كتابات مقدسة تتمشى مع النص المازورى ومن ثم فإن هذه المخطوطات تمدنا بقرينة قاطعة على الوقت الذى بدأت فيه عملية إخراج نسخ معيارية قياسية من الكتاب المقدس العبري، وبلغت أهدافها ولم يعد مستخدمًا إلا النص الرسمى المعياري. ولم نعثر فى كهوف وادى المربعات على أى من تلك النسخ غير المعيارية (غير الأرثوذكسية) التى عجت بها كهوف وادى قمران. وهكذا تأكدنا من أنه مع نهاية الثلث الأول من القرن الثانى الميلادى فصاعدًا حتى اليوم أصبح النص السائد من الكتاب المقدس العبرى هو النص المعيارى المازورى والذى بلغ شكله النهائى فى ذلك الوقت.

ولا بد من التأكيد على أن الغالبية العظمى من الوثائق التى عثر عليها فى كهوف وادى المربعات تعود إلى فترة الثورة اليهودية الثانية (١٣٢ ـ ١٣٥م) وهى ذات أهمية تاريخية بالغة وتمدنا بمعلومات جديدة ومحددة عن هذه الثورة. وربما كان من

أهم وأمتع تلك الاكتشافات على الأقل للتاريخ خطابان أرسلهما سيمون بار كوخبا قائد الثورة الثانية وخطاب آخر مرسل إليه. وتمدنا الوثائق التى جاءت من كهوف المربعات وتتعلق بالثورة اليهودية الثانية بمعلومات جديدة تتعلق بتطور اللغتين العبرية والآرامية على نحو ما استخدمنا عليه فى فلسطين فى الحقبتين اليونانية والرومانية. وإلى جانب ذلك وسعت اكتشافات وادى المربعات معرفتنا ومداركنا حول المواقع الجغرافية وأسمائها فى الفترة الرومانية ـ البيزنطية. وأخيرًا فإنه من وجهة النظر القانونية تقدم لنا العقود المكتشفة ـ وهى الأولى من نوعها فى فلسطين ـ معلومات مثيرة وجديدة، إذ أنه من خلال هذه العقود نستطيع تكوين فكرة دقيقة ومباشرة عن المؤسسات القانونية والتقاليد القانونية والعادات الاجتماعية فى الحقبة الرومانية وكانت مثل هذه الأمور نستقيها بطريق غير مباشر أو بمعنى أدق نستخلصها من كتابات الربانية. ومن بين تلك الوثائق وثيقة طلاق، وثيقة زواج، تصرفات عقارية، عقود تأجير أطيان، وكلها مكتوبة بعبرية المشناه.

ومشكلتنا الأساسية مع وادى المربعات أنه نادرًا ما يظهر على الخرائط الفلسطينية، وهذا الاسم أطلق على قسم من الوادى الكبير الذى يبدأ من جنوب بيت لحم وحيث يطلق عليه وادى نعمر ثم ينزل فى البحر الميت مسافة ١٢ كيلو مترًا جنوب عين جدى باسم وادى دراج. وتقع الكهوف على بعد ٢٥ كيلو مترًا جنوب شرق القدس (نحو ١٥ ميلًا)، وعلى بعد ١٨ كيلو مترًا جنوب قمران (١٠ أميال) من البحر الميت. وكهوف وادى المربعات تقع على مستوى سطح البحر، بينما كهوف قمران كما أسلفت تقع تحت مستوى سطح البحر بنحو ١٠٠٠ قدم.

ولقد بدأ الحفر والتنقيب فى تلك الكهوف فى الفترة ما بين ٢١ من يناير وحتى الثالث من مارس سنة ١٩٥٢ على يد بعثة من أعضاء من: مصلحة الآثار الأردنية ومدرسة دراسات الكتاب المقدس والآثار الفرنسية بالقدس ومتحف الآثار الفلسطيني.

وفى تلك الفترة تم اكتشاف أربعة كهوف بنجاح كبير وكانت المخطوطات والأشياء التى أغلتها تلك الكهوف الأربعة الكبيرة قد ساعدت الأثريين فى معرفة

أنه كانت هناك خمسة فترات استيطان فى تلك المنطقة على الرغم من أن سكان إحدى الفترات دمروا آثار السكان من الفترات التى سبقتهم، كما حدثت تدميرات أخرى بفعل الصخور المتساقطة كما أحدث البدو الذين كانوا يقومون بحفريات سرية بتدمير وإتلاف كثير من المواد.

أما فترات سكنى المنطقة الخمس فيمكن تصويرها على النحو الآتي:

أ ـ الفترة النحاسية. والتى امتدت بين ٤٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق.م وقد أغلت الكهوف من هذه الفترة كميات من الفخار، وكميات من السيلكس (زجاج مقاوم للحرارة)، وقطع من الحجارة المنحوتة؛ ـ وهذه الأخيرة ليست شائعة ـ وقطع من الخشب والجلود، وبقايا شباك صيد السمك وعدة قطع من بقايا السلال. وهذه هى أول مرة تكشف فيها أشياء قديمة مثل الأوانى الخشبية وشباك الصيد فى فلسطين.

ب ـ العصر البرونزى الأوسط (٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م) ولم يأت من هذه الحقبة إلا نماذج قليلة من الفخار المكسور، ديوسان من البرونز وفازة رخامية (ألاباستر) صغيرة وخنفساء أو جعران الهكسوس.

ج ـ العصر الحديدى الثانى (القرن الثامن والسابع ق.م). ولم يأتينا منه إلا بعض القطع الفخارية القليلة اليهودية.

د ـ الحقبة اليونانية ـ الرومانية؛ والتى أغلت مجموعة كبيرة من الأشياء وخاصة الفترة الرومانية. والمعطيات الآتية خرجت من تلك الفترة:

١ـ فخار شبيه من نواحٍ كثيرة لما خرج من قمران.

٢ـ أسلحة، رؤوس حراب برونزية، رؤوس سهام حديدية، وأدوات متنوعة: سكاكين إحدها من خشب، مسامير، منجل.

٣ـ أشياء خشبية، أطباق، ملاعق، سلاطين، أمشاط، لوحات خشبية.

٤ـ منسوجات، بعضها مطرز وبقايا صنادل، بقايا معاطف جلدية.

٥ـ حوالى ٢٠ قطعة مسكوكات: ثلاثة تنتمى لنواب نيرون (مات ٦٨م)؛ تسع

مسكوكات تنتمى للثورة اليهودية الثانية ١٣٢ ـ ١٣٥م، قطعتان مطموستان من العملات الرومانية، قطعة واحدة مسكوكة باسم (رابطة الإخوة) والتى كان مقرها فى يهوذا.

هـ ـ الحقبة العربية. والتى خلفت وراءها سلطانية فخار مكسورة، قطعة قماش ومسكوكتان إحداهما من العصر الأموي. كما وصلنا من هذه الحقبة قطع ورق قطنى مكتوبة بالعربية وترجع للقرن العاشر الميلادي.

هذا عن الأشياء غير الوثائقية التى أغلتها كهوف وادى المربعات عن الفترات الخمس التى سكنت فيها المنطقة وعمرت. أما ما يهمنا هنا فى بحثنا عن المخطوطات فقد أغلت هذه الكهوف العديد من المخطوطات وقطع المخطوطات ربما نكون قد عرضنا لها بسرعة فى الفصول السابقة وآن لنا أن نتوقف أمامها بشيء من التمعن والجدولة:

١ـ لقد أغل وادى المربعات واحدًا من أقدم المخطوطات التى عثر عليها فى فلسطين وهو كما ألمعت سابقًا عبارة عن طرس من بردي. ولما كان الطرس هو مخطوط محيت منه الكتابة الأولى وكتب مرة ثانية عليه. ولقد أمكن بالأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية إظهار الكتابة القديمة ومن ثم يمكننا قراءة النصين القديم والجديد.

أ ـ من الطبيعى أن يكون النص القديم خافتًا ومن ثم لم نتمكن من قراءته بالكامل ولكن يمكن تخمينه إجمالًا. وقد أرجع الباحثون النص القديم ـ ومن ثم ورقة البردى نفسها ـ إلى القرن الثامن قبل الميلاد وهى الفترة التى عاش فيها الأنبياء: عاموس، هوس، ميقاه، عيساياه.

ب ـ وقد أرخ النص الجديد بالقرن السادس قبل الميلاد ـ زمن النبى جيرمياه ـ والأسر البابلي. وقد تضمن النص قائمة بأسماء أربعة أشخاص مع رموز وعلامات واضحة.

ج ـ كانت لغة النصين القديم والجديد هى العبرية والخط هو الخط الفينيقي.

د ـ لم يتم تأكيد التواريخ السابقة تأكيدًا مطلقًا.

و ـ ليس هناك بردية سامية أقدم من هذه البردية حتى الآن ولا يسبقها فى الزمن إلا البرديات المصرية الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية.

٢ ـ أغلت هذه الكهوف من نفس هذه الفترة ـ على نحو ما أغلته قمران ـ قطعتين من الشقافة (الفخار المكسور) تحملان كتابات واضحة.

أ ـ يشى الخط الذى كتبتا به أنهما كتبتا مع نهاية القرن الثانى قبل الميلاد.

ب ـ إحداهما تحمل فقط بعض حروف قليلة، والثانية تحمل سطورًا من نص بخط آرامى قديم للغاية.

ج ـ هناك عقد مكتوب بالآرامية مؤرخ بـ «السنة الثانية من حكم نيرون أى ٥٦م أى قبل تدمير خربة قمران بعامين فقط. ومن ثم فإن هذا العقد يرجع إلى نهاية حقبة قمران.

٣ ـ تم الكشف هنا أيضًا عن قطع مخطوطة من الكتاب المقدس ترجع إلى القرنين الأول والثاني. وهذه القطع كما أسلفت والتى جاءت من كهوف وادى المربعات تقدم نصوصًا طبق الأصل من النصوص المعيارية المازورية فى أسفار موسى، عيسياه، الأنبياء الأصاغر، المزامير، على العكس من تلك النصوص المقدسة التى قدمتها كهوف قمران.

٤ ـ عثر على تميمة (تعويذة) كاملة وقد تكونت من حقيبة تضم رباطًا رفيعًا من رق ملفوف مع ثلاثة قطع نصوص من سفر الخروج، سفر تثنية الاشتراع (نصان). وهذا النص الثالث (الثانى من تثنية الاشتراع) يظهر فى أقصى يمين الرق وهو النص المعروف عند اليهود باسم (شيما: وهى الكلمات الأولى فى سفر تثنية الاشتراع ونصها: اسمع يا إسرائيل. الله هو ربنا.. الله واحد».

٥ ـ وكما ألمعت مرارًا من قبل فإنه باستثناء المخطوطات المشار إليها فى ١، ٢ بعاليه فإن كافة المخطوطات التى أغلها وادى المربعات ترجع إلى الفترة التى قبل الثورة اليهودية الثانية مباشرة وخلالها (١٣٢ ـ ١٣٥م) ويغلب عليها أن تكون عقودًا وخطابات وبيانها:

أ ـ بعض الخطابات كتبت باليونانية. اثنان منها يتعلقان بشئون زواج، أحد هذين الخطابين يعود إلى السنة السابعة من حكم هادريان (الموافق ١٢٤م) يتعلق بالصلح بين زوج وزوجته: إليوس وسالومي. وهناك بردية يونانية عبارة عن شهادة دين ترجع إلى سنة ١٧١م.

ب ـ وثائق يونانية أخرى:

١ ـ نص يتحدث عن الإمبراطور كومودوس (١٨٠ ـ ١٩٢م).

٢ ـ قطعتان مخطوطتان: إحداهما جزء من نص ديني؛ والثانية تحمل نصًا تاريخيًّا على نحو ما يتضح من اسم سالومى وماريان ربما أخت والزوجة الثانية أو الثالثة لـ هيرود الأكبر.

ج ـ من بين المخطوطات خارج الكتابات المقدسة بالعبرية نص على شاكلة الترانيم. وبقية النصوص هناك ذات طابع تاريخى أو أدبي:

١ ـ وثيقة طلاق ترجع كما أشرت للسنة السادسة (ربما ١١١م) من حكم هيرود.

٢ ـ عقد زواج يرجع لخمس سنوات بعد الوثيقة السابقة.

٣ ـ قطعة مخطوطة ترجع لعشية الثورة اليهودية الثانية (١٣١م).

٤ ـ شريحة رقيقة من البردى تتعلق ببيع عقار تحمل تاريخ «السنة الأولى من تحرير إسرائيل» أى ١٣٢ ـ ١٣٣م أى بداية الثورة اليهودية الثانية.

٥ ـ اثنا عشر عقدًا مؤرخة فى السنة الثالثة عن تأجير أرض زراعية ومضمونة من جانب سلطة قائد الثورة سيمون بن كوسيبا (وتكتب بهجاءات أخرى مختلفة).

٦ ـ أربع قطع مخطوطة تتعلق بتصرفات فى عقارات إحداها مؤرخة «بالسنة الثالثة من حرية القدس» أى ١٣٤ ـ ١٣٥م، أى السنة الثالثة من ثورة اليهود الثانية. وهناك عقد عقار آخر مؤرخ «السنة الثالثة لحرية إسرائيل».

٧ ـ وثيقة غير عادية من نفس السنة وثيقة طلاق تمنحها امرأة لزوجها.

٨ ـ هناك عدة عقود غير مؤرخة أو طمست معالم التاريخ.

د ـ بعض الوثائق ذات الأهمية التى خرجت من وادى المربعات عبارة عن خطابات فكما أسلفت هناك خطابان بعث بهما سيمون بن كوسيبا (باركوخبا) إلى جوشوا بن جالجولا يعتقد أنهما خطابان أصليان فعلًا من بار كوخبا شخصيًّا. وكان هناك على الجانب الآخر خطاب من اثنين من الموظفين الرسميين فى المجتمع اليهودى إلى بار كوخبا. وثمة خطاب موجه إلى بن جالجولا الذى وصف فيه بـ (رئيس المعسكر) أى قائد الجيش وكتبه إليه عدة قادة من المجتمع من قرية باسم (بيت ماشكو):

١ ـ أحد الخطابات إلى بن جالجولا عبارة عن «أمر».

٢ ـ تكشف خطابات بن كوخبا عن أنه اعتاد إصدار أوامر مباشرة وقصيرة إلى قواده وكان عنيفًا غير متسامح مع هؤلاء الذين يعصون أوامره وكان يطلب الانتظام الكامل.

٣ ـ يذكر الخطاب أيضًا حقيقة أن بن جالجولا يجب أن يحشد قوات من أهل الجليل الذين عاشوا بالقرب من خربة قمران نفسها.

٤ ـ يحمل خطاب قرية بيت ماشكو إلى بن جالجولا شكوى من أن بقرة اختفت أو أخذت منهم؛ وقد شرحوا شكواهم عن البقرة كتابة لأن الرومان يقتربون منهم أو هم بالفعل فى منطقتهم.

هـ ـ هناك موجودات أخرى عثر عليها فى كهوف المربعات ومن بينها قطع مخطوطة صغيرة مكتوبة باللاتينية: سجلات إدارية مكتوبة على جلود ورقوق، إلى جانب تميمة (تعويذة) كاملة.

و ـ القطع اللاتينية إلى جانب القطع اليونانية والمؤرخة بعد الثورة اليهودية توحى بأنه بعد قمع الثورة، أقيم قشلاق (ثكنات عسكرية) رومانى فى المنطقة لبعض الوقت.

٥ ـ مواد وجدت فى موقع لم يتم التوصل إليه.

هناك مواد نقب عنها البدو واستخرجوها من أحد المواقع فى وادى المربعات ولم يخبروا السلطات بالموقع ولم تهتد السلطات إليه. ومن الموجودات فى هذا الموقع نصادف:

أ ـ قطع مخطوطة محدودة من سفر التكوين وسفر الأعداد ومن المزامير.

ب ـ تميمة (تعويذة) كاملة.

ج ـ خطاب موجه إلى سيمون بن كوسيبا.

و ـ عقدان آراميان مؤرخان بالسنة الثالثة من تحرير إسرائيل صادران عن بن كوسيبا (كوخبا).

د ـ وثيقتان أخريان بالآرامية ووثيقتان باليونانية مؤرخة بالحقبة الرومانية فى المنطقة العربية.

هـ ـ مجموعة أوراق بردية مكتوبة باللهجة النبطية وهى هامة جدًّا لدراسة اللغات السامية وخاصة الآرامية حيث إن تلك الأوراق تضم نصوصًا مستفيضة ومتصلة أكثر من النقوش التى اعتمدنا عليها فى التعرف على تلك اللهجة.

و ـ هناك شريحة من مخطوط يونانى من سفر حبقوق تقدم الحلقة المفقودة كما أسماها بعض الباحثين وعلى رأسهم (بارتليمي) فى تاريخ الترجمة السبعينية.

٦ ـ تدل كافة القرائن الأثرية والقرائن الوثائقية على أن كهوف وادى المربعات كانت ملجأ ومأوى خلال حرب بن كوخبا اتخذتها العسكرية اليهودية قاعدة انطلاق لها تحت إمرة جوشوا بن جالجولا. وقد نجحت القوات الرومانية من إزاحتهم عنها واحتلوا المنطقة. وأنشأ الرومان فى هذه المنطقة قاعدة للتحكم فى الطريق على عين جدي.

ولكن السؤال الآن ما أهمية وقيمة المواد التى وجدت فى وادى المربعات والموقع الآخر غير المحدد؟

ومن المؤكد أنه كانت هناك أهمية وقيمة للمجال اللغوى والخط والمجال التاريخى والمجال الجغرافى والمجال القانونى والاجتماعي.

١. اللغة والخط

أ ـ هناك ثمانى لغات كتبت بها مخطوطات البحر الميت هي: عبرية الكتاب المقدس؛ عبرية المشناه، الآرامية الفلسطينية، النبطية، الآرامية الفلسطينية المسيحية، اليونانية، اللاتينية، العربية. والخمس الأخيرة تجود وتكثر بصفة خاصة فى نصوص خربة مرد فى الحقبة البيزنطية. والثلاث لغات الأخرى يمكن اختصارها إلى العبرية والآرامية.

١ ـ من الواضح أن العبرية والآرامية كانتا مستخدمتين معًا فى مجتمع قمران وثوار القرن الثانى الميلادى الذين غادروا وادى المربعات مخلفين وراءهم المخطوطات.

٢ ـ كانت عبرية المشناة والآرامية هما اللغتان المستخدمتان فى مخطوطات وادى المربعات.

٣ ـ تسد النصوص الآرامية الواردة من وادى قمران ووادى المربعات ثغرة كبيرة فى مصادر معرفتنا بهذه اللغة على النحو الذى استخدمت به فى فلسطين فى الفترات اليونانية والرومانية.

٤ ـ جادت علينا كهوف وادى المربعات وخربة مرد بأشكال متأخرة من الآرامية.

٥ ـ تظهر لهجة المملكة النبطية فى الأردن فى وثائق بردية من الموقع غير المحدد وتعلمنا الكثير عن تلك اللهجة.

ب ـ جاء نمط الخط فى الكتابات المقدسة والكتابات غير المقدسة من نوع الخط الذى يطلق عليه (الخط الزخرفي).

١ ـ هذا الخط الزخرفى هو ذلك الخط الذى استخدم بعد النصف الأول من القرن الأول الميلادي.

٢ ـ وهو نفس الخط الذى استخدمه الربابنة فى سينود جامنيا لنسخ الكتابات المقدسة؛ ووجوده فى وثائق وادى المربعات يعنى بل يؤكد حقيقة أن معايرة نسخ الكتاب المقدس اليهودى قد استكمل شكله المازورى النهائى مع القرن الثانى الميلادي.

٣ ـ هذا الخط يتسم بتوحيد حجم وشكل الحروف والتدويرات المنمقة والعناوين المزخرفة.

٢.الأهمية التاريخية

أ ـ تقدم النصوص التى خرجت من وادى المربعات بعض تفاصيل محددة حول الثورة اليهودية الثانية.

ب ـ وكان الباحثون قبل ذلك يعتمدون على مقتطفات متناثرة مبعثرة فى كتابات المؤرخين وفى التلمود وعلى بعض النقوش الموجودة على العملات فى تجميع معلوماتهم عن الثورة اليهودية الثانية.

ج ـ ورغم أن المخطوطات المكتشفة لم تساعدنا فى الحصول على معلومات تفصيلية دقيقة حول سير أحداث الحرب الرئيسية، وإن كانت تكشف عن كيف كان الثوار منظمين وكيف نظموا الحكومة المدنية والعسكرية فى البلاد وعن الدوافع التى دفعتهم للثورة.

د ـ لقد أمدتنا بمعلومات كاملة عن قائد الثورة من واقع خطابين أرسل بهما إلى قائد القوات وخطاب تلقاه.

١ ـ وكان هناك على الأقل خطاب واحد كتبه بخط يده وحيث يوجد هناك تشابه بين خط نص الرسالة والتوقيع.

٢ ـ هناك إشارة واضحة إلى مقر قيادته فى عقد قانونى عثر عليه فى كهوف وادى المربعات.

هـ ـ أحيت هذه الخطابات جدلًا قديمًا بين الباحثين يتعلق بشكل ومعنى اسم (باركوخبا) والذى ورد بصيغ وهجاءات مختلفة على نحو ما قدمت ففى نصوص

وادى المربعات يسمى سيمون بن كوسيبا، ولكنه يعرف بين العامة باسم (سيمون باركوخبا) أى ابن النجم والذى يعتقد بعض معاصريه أنه نجمة يعقوب الذى جرى التنبؤ به فى سفر الأعداد.

٣. الأهمية الجغرافية

وضعت هذه المخطوطات أيدينا على معلومات ومعرفة جديدة حول أسماء المناطق الجغرافية الفلسطينية فى الحقبة اليونانية ـ الرومانية:

أ ـ وعلى سبيل المثال هناك عقد من وادى المربعات يذكر قرية (حنبت) والتى عرفت بأنها آنا بلاتا والتى طبقًا لخطاب سانت إبيفانيوس تقع على الطريق من القدس إلى بيتل والتى أصبح اسمها الآن بيرنا بالا على بعد خمسة أميال شمال غرب القدس.

ب ـ فى عقد زواج عثر عليه فى المربعات هناك ذكر لقرية اسمها (حردوين) التى عاش فيها أحد أفراد الأسرة القسية (إلينا حبيب). وفى بعض مخطوطات التلمود نصادف اسم بيت هارودون باعتباره المكان الذى اقتيد إليه كبش الفداء. ويبدو أن الاسم قد تحور إلى (حربت حاريدان) وهو تل فى برارى يهوذا على بعد ثلاثة أميال من القدس. وغير ذلك كثير من الأمثلة.

٤. الأهمية القانونية والاجتماعية

تقدم لنا العقود التى خرجت من وادى المربعات ومن الموقع غير المحدد معلومات قانونية واجتماعية بالغة الأهمية.

أ ـ تقدم لنا العقود وخاصة عقود الزواج ووثائق الطلاق معلومات اجتماعية وفى نفس الوقت قانونية هامة.

ب ـ وهذه العقود هى الأولى من نوعها التى تكتشف على أرض فلسطين وكتبت بأربع لغات: عبرية المشناة، الآرامية الفلسطينية، النبطية، اليونانية.

ج ـ ومن خلال هذه الوثائق نحصل على معلومات مباشرة عن المؤسسات

القانوينة والتقاليد القانونية فى الحقبة الرومانية والصيغ القانوينة للعقود. وكانت هذه المعلومات نستقيها من النصوص الربابينية بالطريق غير المباشر.

د ـ ولقد كشفت دراسة هذه العقود عن أن هناك نقاط التقاء بينها وبين صيغ العقود البابلية والعقود الآرامية المكتشفة فى ورق البردى اليونانى وبرديات الإليفانتاين فى مصر وكذلك الممارسات القانونية التلمودية المتأخرة.

وصفوة القول أن مخطوطات وادى المربعات وعمليات اكتشافها قد أصابها بعض سوء الحظ وفقدت بعض جاذبيتها لأنها اكتشفت فى نفس الوقت الذى اكتشفت فيه مخطوطات قمران ومن ثم وجهت الأضواء كلها لمخطوطات البحر الميت. ومن المؤكد أن هذه الاكتشافات تكمل اكتشافات قمران بل وتلقى مزيدًا من الأضواء عليها وثبت بما لايدع مجالًا للشك أنه حتى بعد تدمير المبنى الرئيسى لمجتمع البحر الميت فى نهاية الثورة اليهودية الأولى استمرت الصحراء اليهودية ملاذًا لضحايا الاضطهاد الرومانى وملجأ للثوار.

وتعتبر خطابات باركوخبا كنزًا فريدًا من نوع خاص حيث إنها تمدنا بالأرشيف الأصلى الوحيد المعروف من فترة نهاية المعبد الثانى والثورة.

ورغم انحسار الأضواء أو على الأقل خفوتها حول مخطوطات وادى المربعات إلا أنها يقينًا تعتبر امتدادًا لمخطوطات وادى قمران فى الزمان والمكان. وكان لها أهمية تتساوى وربما تفوق أهمية مخطوطات قمران من حيث الأهمية اللغوية والباليوجرافية، والأهمية التاريخية والأهمية الجغرافية والأهمية القانونية والاجتماعية.

***

اكتشافات خربة مرد

خربة مِرْد هى موقع قلعة قديمة تعرف باسم هيركانيا وقد بناها جون (جوناثان) هيركانوس ومن ثم سميت باسمه وكان كاهنًا عالى القدر وأميرًا من أمراء الحاسمونيين الأسرة الحاكمة وقد ولد الرجل سنة ١٧٥ ق.م تقريبًا وتوفى ١٠٤

ق.م تقريبًا أيضًا. وتقع خربة مرد هذه على بعد تسعة أميال جنوب شرق القدس. وفى نحو ٤٩٢ م قام القديس مار سابا (سانت ساباس) ببناء دير كاستيليون على هذا الموقع وقد ظل هذا الدير مزدهرًا حتى القرن التاسع الميلادي. وقد تردد اسم هذا الدير فى الكتابات البيزنطية مرات كاستيليون أى القلعة ومرات ماردًا وهى كلمة آرامية معناها أيضًا القلعة. وقد قلصت ماردًا بعد ذلك إلى مِرْد. وقد شهدت منطقة خربة مرد أعظم أيامها فى القرنين الخامس والسادس للميلاد. ورغم أن اكتشافات خربة مرد لا تمت بصلة لمعطيات كهوف قمران أو كهوف المربعات ولا تعتبر امتدادًا لها فى الاتجاه أو فى الزمان، إلا أنها تعتبر فقط اتجاهًا وامتدادًا فى المكان. فالنصوص المقدسة التى وجدت هنا فى هذا الموقع ترجع لأصول مسيحية بينما النصوص المقدسة التى جاءت من كهوف قمران وكهوف المربعات ترجع لأصول يهودية؛ ولذلك وجب التنبيه.

لقد أغل هذا الموقع سلسلة من المخطوطات ترجع إلى الفترة من القرن الخامس الميلادى إلى القرن الثامن الميلادي. ولقد كشفت بقايا مكتبة خربة مِرْد فى قاعة تحت الأرض، سنة ١٩٥٢ ومرة أخرى على يد رجال البدو مما دعا إلى تشكيل بعثة أثرية بلجيكية برئاسة العالم الأثرى ر. دى لانجهى من جامعة لوفان للمسح والاكتشاف العلمى لخربة مرد فى الفترة من فبراير إلى إبريل ١٩٥٣.

وفى كل الأحوال أغلت المنطقة مجموعة من النصوص التى يمكن جدولتها على النحو الآتي:

١ ـ كانت المخطوطات وقطع المخطوطات التى اكتشفت على شكل الكراس حيث كان التحول التام من شكل اللفافة إلى شكل الكراس قد حدث مع القرن الخامس الميلادى على نحو ما أشرت إليه سابقًا ومن بين المخطوطات المكتشفة: كتاب الحكمة، إنجيل مرقص وإنجيل يوحنا وأعمال الرسل. وهى جميعًا مكتوبة باليونانية بخط أونسيال وترجع للفترة من القرن الخامس إلى القرن الثامن الميلادي.

٢ ـ الكتابات المقدسة تتراوح ما بين كتابات جوشوا إلى إنجيل متى وإنجيل لوقا وأعمال الرسل، والرسالة الموجهة إلى الكولوسيين. وهذه المخطوطات جميعًا كتبت

بلغة وخط يطلق عليهما: السورى ـ الفلسطيني. أما قطع المخطوطات غير المقدسة والمكتوبة باليونانية فقد كتبت بالخط المدور (المضلع). وقد عثر هنا أيضًا على قطع مخطوطات وبرديات مكتوبة بالعربية والسوريانية.

٣ ـ من بين المخطوطات المكتشفة هنا قطعة من كتاب يوريبيدس (أندرماخ) وترجع إلى القرن السادس الميلادى وهى بذلك تكون أقدم بألف سنة من أية نسخة على رق عرفت من هذا الكتاب. ومعنى هذا أيضًا أن مجال الدراسات الكلاسيكية فى هذه المكتبة سيأخذنا بعيدًا بعيدًا عن مخطوطات قمران والمربعات.

٤ ـ من بين النصوص المكتشفة خطاب كامل على بردى كتبه راهب يسمى جابرييل إلى مشرف دير «ماردا ـ كاستيليون».

٥ ـ كتبت كافة المخطوطات المكتشفة بثلاث لغات: العربية، اليونانية، الآرامية الفلسطينية المسيحية، وهذه الأخيرة هى اللهجة التى استخدمها مسيحيو فلسطين فى الحقبة البيزنطية وخلال القرون الإسلامية الأولى.

٦ ـ تقودنا كل القرائن الباليوجرافية التى خرجت بها الدراسات التى أجريت على هذه المخطوطات إلى أن كل هذه النصوص كتبت فى نهاية الحقبة البيزنطية ومطالع الحقبة العربية. وحيث عثر فى هذه المكتبة على عقد مكتوب بالعربية مدون عليه التاريخ الهجرى (القرن الثانى الهجري) أى ما يقابل الثامن الميلادي.

ويرى الخبراء الثقاة أن مخطوطات خربة مرد سوف تحسن من معرفتنا وتزيد معلوماتنا عن الحياة الديرية فى يهوذا فى كثير من الجوانب. وكان لوجود العديد من المخطوطات المكتوبة باللغة الآرامية الفلسطينية المسيحية فى خربة مرد أثره العظيم فى دراسة هذه اللغة ولو أنه كانت هناك مخطوطات أخرى بهذه اللغة خارج فلسطين؛ إلا أن هذه هى المرة الأولى التى نعثر فيها على مخطوطات بهذه اللغة فى بلدها وبهذا القدر وحيث تقدم لنا الخربة نصوصًا أدبية ونصوصًا غير أدبية بهذه اللغة. ومن الجدير بالذكر أن النصوص المقدسة المكتوبة باليونانية جاءت من مكتبة الكتب المقدسة التى استخدمها الرهبان فى الكنيسة والدير وكانت اللغة السورية ـ

الفلسطينية هى لغة حديثهم والتى استخدموها فى شعائرهم إلى جانب اللغة اليونانية إلى أن أبطلتها اللغة العربية. ولقد خرجنا بفائدة أخرى محققة من وراء مخطوطات خربة مرد هى أن هذه المخطوطات سوف تلقى ضوءًا باهرًا على تاريخ الترجمات اليونانية للكتاب المقدس.

***

حوليات الاكتشافات ومواسم التنقيب والحفر

نورد هنا عرضًا سريعًا لحوليات الاكتشافات بعد الكشف الأول لكهف البحر الميت رقم ١ الذى وقع ١٩٤٧؛ وحيث تناولنا هذه الحوليات بشيء من التفصيل والتدقيق من قبل.

١٩٥١

* تم اكتشاف ومسح خربة قمران مقر ومركز المجتمع اليهودى صاحب مخطوطات كهوف البحر الميت وقمران سنة ١٩٤٩ ولكن التنقيب والحفر لم يبدآ إلا سنة ١٩٥١م ثم توقفت لعدم اكتشاف شيء له قيمة بيد أن عمليات الحفر والتنقيب استؤنفت بعد ذلك مع عام ١٩٥٦.

* فى نفس سنة ١٩٥١م عثر البدو على مجموعات مستقلة من المخطوطات فى وادى المربعات ترجع إلى القرن الثانى الميلادي. ومن الجدير بالذكر أن وادى المربعات يقع على بعد أميال قليلة من وادى قمران.

* وفى نفس سنة ١٩٥١ عثر البدو على قطع من المخطوطات ترجع إلى نفس فترة القرن الثانى الميلادى فى نفس وادى المربعات ومن موقع لم يفصحوا عنه وظل مجهولًا لنا حتى اليوم وعندما نرغب فى الإشارة نقول من «موقع غير محدد» بوادى المربعات.

١٩٥٢

فى سنة ١٩٥٢م تم التنقيب والحفر فى أربعة كهوف فى وادى المربعات. وبينما الحفريات تجرى على قدم وساق فى وادى المربعات، اكتشف البدو كهفًا آخر به قطع

مخطوطات، شمالى وادى قمران بالقرب من كهف قمران ١. وفى نفس سنة ١٩٥٢ تم كشف عدة كهوف أخرى عثر فى أحدها ـ الكهف رقم ٣ ـ على لفافات نحاسية.

فى صيف ١٩٥٢ تم اكتشاف المخطوطات فى خربة مرد على بعد ثلاثة أميال فقط شمال غرب قمران.

وفى نفس سنة ١٩٥٢ عثر البدو على كهف رابع فى وادى قمران، بالقرب من خربة قمران، وبعده مباشرة تم كشف كهفين آخرين. وكان أكثر هذه الكهوف ثراء بالمخطوطات هو الكهف الرابع.

١٩٥٥

فى هذه السنة تم اكتشاف أربعة كهوف أخرى بها قطع من المخطوطات فى خربة قمران فى موسم حفريات ١٩٥٥.

فى نفس الوقت عثر البدو على مخطوطة فى حالة سيئة لسفر الأنبياء الأصاغر ترجع إلى القرن الثانى الميلادى وذلك فى أحد كهوف وادى المربعات؛ والذى لم يحدد مكانه.

١٩٥٦

فى هذه السنة كشف البدو عن كهف آخر فى منطقة قمران على بعد مسافة قصيرة شمال الكهف رقم ١، هذا الكهف أعطى رقم ١١.

وكانت محتويات الكهف رقم ١١ تنافس فى قيمتها محتويات الكهف رقم ١ والكهف رقم ٤.

وكانت محتويات الكهف رقم ١١ هي:

أ ـ أربعة مخطوطات كاملة نسبيًا مثل تلك التى خرجت من الكهف رقم ١.

ب ـ جزء من كتاب ليفتيكوس، وأجزاء من سفر الرؤيا فى العهد الجديد.

ج ـ مخطوطة المزامير وترجومة آرامية لسفر أيوب.

مواسم الحفر والتنقيب

كانت المواسم الأثرية الثلاثة الأولى للحفر والتنقيب تسير على النحو الآتي:

أ ـ ١٩٥١: من ٢٤ من نوفمبر ـ ٢٤ من ديسمبر.

ب ـ ١٩٥٣: من ٩ من فبراير ـ ٢٤ من إبريل.

ج ـ ١٩٥٤: من ١٣ من فبراير ـ ١٤ من إبريل.

وكان الموسم الرابع قد وقع فى الفترة من ٢ من فبراير وحتى ٦ من إبريل ١٩٥٥.

بينما الموسم الخامس كان قد وقع من ١٨ من فبراير وحتى ٢٨ من مارس ١٩٥٦.

وقد توقفت أعمال البحث والتنقيب تمامًا بعد ذلك التاريخ.

وصفوة الصفوة أن المخطوطات التى جاءت من وادى قمران حول مستوطنة المجتمع اليهودى فى خربة قمران تغطى فترة عريضة تمتد ما بين القرن الثانى قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي. كذلك فإن المخطوطات التى جاءت من وادى المربعات والموقع غير المحدد وجدت فى كهوف ووديان من الصعب جدًّا الوصول إليها وبعيدة تمامًا عن كل مراكز العمران فى الجزء الجنوبى من الصحراء اليهودية. وهذه الكهوف بوادى المربعات كانت تتخذ ملجأً ومهربًا فى كل العصور ولكنها استخدمت كذلك على وجه الخصوص خلال الثورة اليهودية الثانية. كما عثر بين أطلال الدير البيزنطى فى خربة مرد على مخطوطات هامة. هذا الدير يقع بالقرب من القدس، فى منتصف صحراء الراهب التى عرفت أزهى أيامها فى القرنين الخامس والسادس للميلاد.

* * *